قال ثم عند ذلك قلت يا رب بارب هذا السكنت ولا اعوذ الا انى لا اقدر على ان احترز منه الا بعاصمك
فلهذا اتى اولا بقوله انى اعوذ بك ان اسالك فيما يستقبل ما ليس لى به علم وان اعود الى شى ابدا ثم اشتغل بالاعتذار
عما مضى فقال والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين وحقيقة التوبة تقتضى من احوال الدم على ترك الفعل المستقبل
واليه الاشارة بقوله اعوذ بك ان اسالك ما ليس لى به علم والى الندم والاستغفار لما مضى واليه الاشارة بقوله والا
تغفر لى الاية قوله اهبط من السفينة مستقام الكلام اشارة الى ان قوله بسلام حال من فاعل اهبط اى انزل
اى متلبسا بسلام ومنا صفة بسلام فسعلق بمحذوف امر الله تعالى بان ينزل من السفينة ثم وعد عند الخروج بالسلامة
اولا ثم بالبركة ثانيا ويحتمل ان يكون قوله اهبط امرا بان ينزل من جبل الجودى الذى استقرت السفينة
عليه الى الارض المستوية والبركات الخيرات النامية وهو عطف على قوله بسلام فيكون منا فى الاحكام
نوح لما خرج من السفينة وعلم انه ليس فى الارض ما ينتفع به من النبات والحيوان صار كالخائف فى انه كيف
يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من الماكول والمشروب فلما قال الله تعالى له اهبط بسلام منا زال
ذلك الخوف لان ذلك يدل على حصول السلامة من الافات ولا يكون ذلك الا مع سعة الرزق ثم انه تعالى لما وعد
بالسلامة [illegible] وعد بالبركة وبان موجبات السلامة والراحة والفراغ تكون فى التزايد والنماء
والثبات والاستقرار على ان البركة عبارة عن الدوام والبقاء والثبات ومنه بروك الابل ومنه
البركة لثبوت الماء فيها ومنه تبارك الله اى ثبت تعظيمه وقيل المراد بالبركة الموعودة انه عليه السلام
كونه ابا من جاء بعده من البشر الى يوم القيمة كما قال الله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فانه روى
انه لما خرج من السفينة مات من كان معه ممن لم يكن من ذريته ولم يحصل النسل الا من ذريته
حتى صار ادم ثانيا وروى ايضا انه لم يكن فى السفينة الا من نسله وذريته وعلى التقديرين فالخلق
كلهم انما تولدوا منه ومن اولاده فهو المراد من البركات وعد [illegible] قوله وعلى امم الذين [illegible] على
ان تكون كلمة من فى قوله ممن معك لبيان الجنس فيراد بالامم الامم الذين كانوا معه فى السفينة لانهم كانوا
جماعات متميزين وايضا كانوا مبدا لمن تشعب منهم من الامم اى سمى من معه امما لانهم صاروا امة فى
المآل بحسب ترتيب اولادهم قوله او على امم ناشئة ممن معك على ان تكون من لابتداء الغاية فالمراد بالامم
الامم المؤمنون الى اخر الدهر قوله اى وممن معك امم سنمتعهم على ان امم مرفوع بالابتداء وسنمتعهم صفته
والخبر محذوف لدلالة قوله ممن معك عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤن ممن معك
وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار [illegible] وكان ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان
نشاوا منه ومن اولاده الذين كانوا معه فى السفينة قوله عطف على قوله نوحا الى قومه يريد ان المعطوف
على المعطوف عليه وكانه قيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه وارسلنا الى عاد اخاهم [illegible] من قبيلة العرب [illegible]
[illegible]

منهم وهو عليه السلام وان لم يكن اخا لهم فى الدين الا انه كان واحدا من قبيلة عاد وهم قبيلة من العرب
بناحية اليمن كان صالح كان واحدا من قبيلة ثمود قوله ثم توسلوا اليها بالتوبة لما كانت المغفرة منوطة
بالتوبة وكانت التوبة وسيلة اليها فسر المص قوله تعالى ثم توبوا اليه بقوله ثم توسلوا اليها بالتوبة
ولزم منه ان يكون كلمة ثم للتراخى فى الاخبار فان هودا عليه السلام دعا قومه اولا الى التوحيد ثم كلفهم ان
يطلبوا من ربهم ان يغفر لهم ذنوبهم ثم بين الشئ الذى يتوسل به الى المغفرة وهو التوبة فقال
ثم توبوا اليه فانه لا سبيل الى طلب المغفرة من الله عز وجل الا باظهار التوبة لان المذنب معرض
عن طريق الحق والمعرض المتمادى فى التباعد ما لم يرجع عن ذلك الاعراض لا يمكنه التوجه الى المطلوب
فالمطلوب بالذات هو العفو والغفران والصفح والرضوان الا ان ذلك لا يمكن الا بالرجوع عن الحالة
العدوانية فثبت ان المغفرة مطلوبة بالذات وان التوبة مطلوبة لكونها من مبادى المغفرة وما
كان اخرا فى الحصول كان متقدما فى الطلب فلهذا السبب قدم ذكر الاستغفار على التوبة ثم بين
ما يتوقف عليه المطلوب ثم اشار المص الى ان كلمة ثم للاشارة الى ان التوبة والتبرى عن عبادة
غير الله متاخر بالذات والرتبة عن الايمان بالله والرغبة فى الثواب فقد اشار المص فى اول السورة
الى وجه اخر وهو ان يكون ثم على اصل معناها بان يكون التوبة التى هى الرجوع عن الضلالة مجازا باسم التوسل
الى المطلوب بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب والوصول الى ما عند الله من الكرامة انما يكون بالاعمال
على التراخى قوله كما يرسل السماء مجزوم على انه جواب الامر والمعنى انكم متى فعلتم ذلك فالله تعالى
يكثر النعم عندكم ويقويكم على الاتساع فان انتظام حال الانسان فى معاشه كما يتوقف على وفور
نسل النعم والارزاق يتوقف ايضا على الاتساع بها فمتى اجتمع الامران فقد كملت سعادته
العاجلة الى الكمال ومتى فقد اى واحد منهما او كلاهما فقد اختل امر معاشه قوله كثير الدر مبنى على
ان المدرار من ابنية المبالغة وهو حال من السماء ولم يؤنث لان مفعالا للمبالغة يستوى فيه
المذكر والمؤنث ولان المراد بالسماء السحاب او المطر فذكر حملا على المعنى يقال سحاب مدرار
وغيث مدرار اذا تتابع منه المطر قوله ما درى من قولك [illegible] بمعنى رجع واعرض كانه
قيل لا تتبلوا قولى يا قوم استغفروا الله حال كونكم معرضين عنه اى مصرين على ما انتم عليه من
قوله لا تجرموا [illegible] فيما يستقبل [illegible] وترك عبادة الاصنام [illegible]
بقوله باعتبارها فى نفسه من [illegible]
كما فى قوله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك اى لا تتبعها معرضا عما جاءك وان كان الاكثر والاول
فى باب التضمين ان يجعل الفعل المضمن اصلا والمذكور فى اللفظ حالا لما فيه من الاغناء بشان المتروك
بجعل اعراب المذكور مع الفعل المتروك صلة [illegible]

Copyright © King Saud University